

المرجعية. فها هي القصيدة العربية تأتي، القصيدة التي قيلت «بلغة غير معروفة لكنني فهمتها مع ذلك». ليست اللغة البشرية عائقاً لأن ثمة لغة أشمل وأعمق هي لغة الطبيعة التي تنبع منها أشعار الإنسان البدائي، أو المتوحش النبيل. لكن إذا كانت لغات الإنسان البدائي تتساوى في علاقتها بمنابع الطبيعة، من وجهة النظر الرومانتيكية، فإن لغة كالعربية تظل محافظة على خصوصيتها. فمن العربية، كما من العبرية، نبع ما اعتبره رومانتيكيون ككوليرج وغوته وهيردر «شعر الكتاب المقدس» الذي يعود إليه الجزء الأكبر من شخصية أوروبا الحضارية. شعر الكتاب المقدس، وإن كان بدائياً في منابعه، لم يكن ليأتي من الهنود الحمر أو من غيرهم من الأمم البدائية. إنه شعر عبري أو عربي. ومن هنا جاءت أهمية المرجعية العربية لقصيدة الصدفة، فكون العربي هو الذي حملها، ويفهمها كما يبدو دون صعوبة، ليس المبرر الوحيد لوصف القصيدة بالعروبة؛ إلى جانب ذلك ثمة سبب لا يقل أهمية: فمن خلال الانتماء العربي يمكن للقصيدة أن تقنعنا بقداستها وقوتها التنبؤية، أو على الأقل أن تقنع أولئك الذين عاصروا وردزورث واتفقوا مع كوليرج على أن «سفر أيوب شعر عربي خالص».